الدرس الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

كان مرّ معنا بالأمس: ما يقوله من خرج من منزله.

وأورد رحمه الله الدعاء والذكر المأثور الذي يُستحب للمسلم أن يقوله إذا خرج من منزله، ولما كان أشرف أمر يخرج إليه المرء من منزله؛ هو الخروج إلى المساجد؛ عقد فصلًا جديدا: فيما يقوله إذا دخل المسجد، ولعل في هذا إشارة وتنبيهًا إلى أن أشرف أمر يخرج الإنسان إليه من بيته؛ هو أن يخرج إلى المساجد التي هي بيوت الله عزّ وجلّ والتي هي أحب البقاع إلى الله سبحانه وتعالى كما جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**أحب البلاد إلى الله المساجد وشر البلاد إلى الله الأسواق**»، فالمساجد: «**أحب البلاد إلى الله**»، وأحب البقاع إلى الله، قال العلماء: لأن المساجد فيها ذكر الله، وتلاوة القرآن، وإقام الصلاة، ومجالس العلم، إلى غير ذلك من الخيرات المتنوعة، والأفضال المتعددة التي تتهيأ في المساجد.

قالوا: وشر البقاع؛ الأسواق، لأن الأسواق يكثر فيها اللغط، وربما الكذب، والغش، والحيل، والتصرفات السيئة، وإلى غير ذلك من الأمور التي يبغضها الله سبحانه وتعالى فالمساجد أحب البقاع إلى الله، وهي أيضا حبيبة إلى عبادة المؤمنين، فهي قرّة عيونهم، وأنس نفوسهم، وبهجة صدورهم، وموطن راحتهم؛ المؤمن يقرّ عينًا وينعم ويطمئن إذا دخل في بيوت الله عزّ وجلّ ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ**﴾[النور:٣٦-٣٧] فالمساجد لها شأنها ولها مكانتها، ولها منزلتها، وهي كما قدمت أشرف شيء يخرج إليه المسلم، وإذا خرج من بيته قاصدًا المسجد؛ فان ثمة أداب عديدة ينبغي أن يرعاها، وأن يُعنى بها، وأن يحققها في خروجه إلى المسجد، وفى مشيه إليه، وعند دخوله مع بابه، وعند جلوسه فيه؛ آداب يستصحبها المسلم ويُعنى بها في ذهابه إلى المسجد.

والمصنف رحمه الله لما كان كتابه؛ كتاب أذكار وأدعية؛ اقتصر في هذا الباب على ما يقوله من دخل المسجد ومن خرج من المسجد، وإلا هناك آداب كثيرا يُستحب للمسلم أن يعتني بها إذا خرج من بيته للمسجد يخرج متوضأً، وكما جاء أيضا في الحديث: «**لا يُشبّك أصابعه**» وكما أيضا جاء في الحديث الأخر؛ لا يسعى سعيًا، وإنما يمشي مشيًا كما قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أُقيمت الصلاة؛ فأتوها وأنتم تمشون، ولا تأتوها وأنتم تسعون، وعليكم**

بالسكينة» فمن أدب الذهاب إلى المسجد: أن يكون ذهابه إلى المسجد بسكنية، قال: «**إذا أُقيمت الصلاة**» لأن الغالب أن العجلة، والسرعة، والسعي، عندما تُقام الصلاة، وإلا عدم العجلة والسعي مطلوب، سواء وقت الأذان أو قبله، من يمشي إلى المسجد يمشي بسكينة ووقار، وهدوء، وطمأنينة، ويذكر الله عزّ وجلّ في طريقه إلى المسجد بالذكر المشروع، أو الدعاء المشروع، وهو في صحيح مسلم يقول: «**اللهم أجعل في قلبي نورا، وفى سمعي نورا، وفى بصرى نورا، ومن أمامي نورا، ومن خلفي نورا، وعن يميني نورا، وعن يساري نورا، ومن فوقي نورا، ومن تحتي نورا، وعظّم لي نورا**» يدعو بهذا الدعاء وهو في الطريق، والدعاء بهذا الدعاء العظيم المبارك في طريق المسجد؛ هو في غاية المناسبة، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر عن الصلاة أنها نور، قال: «**الصلاة نور**» وفى الحديث الآخر الذي في المسند أن الصلاة ذكر عند النبي ﷺ فقال: «**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورًا ولا برهانًا ولا نجاة يوم القيامة، وحشر مع قارون، وفرعون، وهامان، وأمية بن خلف، وأبي بن خلف**» وهؤلاء صناديد الكفر وأعمدة الباطل يُحشر معهم يوم القيامة إذا كان مضيّعًا للصلاة، غير مُحافظ عليها، الشاهد قوله: «**من حافظ عليها كانت له نورًا**» الصلاة نور؛ ولهذا أُستحب لمن خرج إلى هذا النور، أن يسأل الله النور في طريقه، وأن يكون سؤاله لله تبارك وتعالى النور؛ سؤالًا عامًّا، أو سؤالًا تفصيليًا، بحيث يشمل النور كل أجزائه وجميع أعضاءه، ويحيط به من كل جانب، أمامي، خلفي، عن يساري، عن شمالي، عن يميني، من فوقى، في قلبي، في بصرى، حتى جاء في بعض الروايات: «**وأجعل في عصبي نورا ،وفي بشري نورا، وفي شعرى نورا**» حتى يغشاه النور في كل أجزائه، وجميع أعضاءه، في الشعر، والعصب، والعروق؛ وجميع أجزائه، فدعاء في هذا الدعاء والمسلم في طريقه إلى المسجد في غاية المناسبة، وتمام الموافقة، لأنه ذاهب إلى النور، إلى الصلاة التي هي نور، فمن المناسب وهو في الطريق أن يدعو بهذه الدعوات الثابتة عن النبي صلوات الله وسلامه عليه.

ثم إذا وصل إلى باب المسجد أستحب له أن يقدّم قدمه اليمنى، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يُحب التيمّن؛ فيقدم قدمه اليمنى عند دخوله إلى المسجد، ثم يأتي بالأذكار المأثورة في هذا الباب، وسياتي ارادها عند المصنف رحمه الله الكلام عليها.

ثم إذا دخل المسجد؛ يُبادر إلى أداء تحية المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يُصلي ركعتين**» والصحيح أن هاتين الركعتين حتى في وقت النهى؛ مثل بعد العصر، أو بعد الفجر، إذا دخل المسجد وأراد أن يجلس؛ فلا يجلس حتى يُصلي ركعتين تحية للمسجد.

ثم إذا جلس في المسجد؛ يجلس متأدبا بآداب المسجد، ويشغل وقته فيه بما يقرّبه من الله عز وجل وينال به رحمته، لأنه قال وهو يدخل مع باب المسجد: «**وأفتح لي أبواب رحمتك**» وأبواب الرحمة يحتاج الإنسان معها إلى عمل، وإلى تقرب، وإلى حسن تعبّد، حسن صلة بالله تبارك وتعالى وقيام بطاعته، فُيعنى بذلك كله، ويعنى بالأعمال التي

تدنيه من رحمة الله؛ تلاوة القرآن، ذكر الله تبارك وتعالى، الصلاة، حضور حلق العلم ومجالس الذكر فإن شأنها عظيم ومكانتها جليلة، يُعنى بذلك كله.

كذلك يحسب كل خطوة خطاها في سيره إلى المسجد وجلوسه، يحتسب ذلك كله ثوابًا عند الله عزّ وجلّ، قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا أدلكم على ما يكفّر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات، قلنا: بلى يا رسول، قال :إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط**»، قال عليه الصلاة والسلام: «**من غدا إلى المسجد وراح؛ أعدّ الله له نزلًا في الجنة كلما غدا أو راح**»، فكل ذلك يحتسبه عند الله عز وجل يرجو به ثوابه، ويطمع في نواله، ويرجو رحمته، ويرجو تحقق سعادته في دنياه وأُخراه، فهذه أمور وخيرات يكتسبها المسلم ويجنيها من إتيانه للمساجد واعتياده للمجيء إليها، ومحافظته على الصلاة فيها، وجلوسه فيها ذاكراً تاليًا مُصليًا، راكعاً، ساجدًا؛ فهذه كلها أبواب خير عظيمه وأبواب مباركة.

المصنّف رحمه الله عقد فصلًا يتعلق بالأذكار والدعوات التي يُستحب للمسلم أن يقولها إذا دخل المسجد وإذا خرج منه.

(المتن)

فصل في دخول المسجد والخروج منه، قال رحمه الله: يُذكر عن أنس رضي الله عنه وغيره أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل المسجد قال: «بسم الله، اللهم صلى على محمد، وإذا خرج قال: "بسم الله، اللهم صلى على محمد"».

(الشرح)

قال المصنف رحمه الله: فصل: في دخول المسجد والخروج منه، أي فيما يُشرع للمسلم أن يقوله في دخوله للمسجد، وما يُشرع للمسلم أن يقوله في خروجه من المسجد، فإن أنواع من الأدعية والأذكار ثبتت عن النبي ﷺ في هذا المقام، فمن الحريّ بالمسلم أن يعرفها، وأن يأتي بها في كل دخول وخروج لبيت الله، حتى ينال بركة هذه الدعوات وخيرات هذه الأذكار الثابتة عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال رحمه الله: «**يُذكر عن أنس وغيره**» الحديث؛ حديث حسن، بماله من شاهد، حديث أنس سنده ضعيف كما نبّه على ذلك المحقق، ولكنه حسن لغيره، لوجود ما يشهد له، ويتقوى به، أن رسول الله ﷺ:كان إذا دخل المسجد قال: «**بسم الله**» وهذا فيه مشروعية التسمية عند دخول المسجد، وكذلك عند الخروج منه، فقولك «**بسم الله**» عند دخوله المسجد، أي: بسم الله أدخل، وفي هذا استعانة بالله عزّ وجلّ وطلب عون وتوفيق منه عزّ وجلّ فيما جئت لأجله، وأنت جئت للمسجد لأغراض؛ أهمها وأعظمها: أداء الصلاة المكتوبة، ولا استطاعة لك على القيام بشيء من ذلك؛ إلا إذا أعانك الله، لقد كان الصحابة رضي الله عنه عنهم يرتجزون، كما جاء في صحيح البخاري يقولون: "لولا الله ما اهتدينا، ولا

صُومنا ولا صلينا"، لقد قال النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ ابن جبل: «**لا تدعنّ دبر كل صلاة أن تقول: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"**».

فإذا دخلت المسجد للصلاة، ولطلب العلم، ولقراءة القرآن؛ ولذكر الله تبارك وتعالى؛ تُسمّى: تقول: «**بسم الله**»، وفي هذه التسمية؛ طلب العون من الله عزّ وجلّ أن يبارك لك في هذا الدخول، وأن يوفقك فيه، وأن يحقق لك في دخولك هذا ما فيه سعادتك وفلاحك، قال إذا دخل المسجد قال: «**بسم الله، اللهم صلى على محمد**» يقول هذه الدعوة «**اللهم صلى على محمد**» بل ويجمع معها "السلام" يقول: «**اللهم صلى وسلم على محمد**» كما سيأتي في الحديث الذى يأتي بعده؛ «**فليُسلّم على النبي**» ﷺ فيجمع بين الصلاة والسلام، ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[الأحزاب:٥٦] ﷺ فيجمع النبي عليه الصلاة والسلام عند دخول المسجد؛ بين الصلاة والسلام؛ فيقول: «**بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله**» وقول المسلم فيما يتعلق بذكر النبي عليه الصلاة والسلام قوله ﷺ: «اللهم صلى وسلم عليه» هذا دعاء للنبي عليه الصلاة والسلام فالصلاة دعاء له، والسلام طلب سلامتًا، وهذا من أسباب نيل شفاعته صلوات الله وسلامه عليه الصلاة والسلام، فهي من المؤمنين؛ الدعاء، ومن الله تبارك وتعالى؛ ثناؤه عليه في الملأ الأعلى ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾[الأحزاب:٥٦]، صلاة الله على نبيّه ﷺ ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، وصلاة الملائكة؛ دعاء، وصلاة المؤمنين؛ دعاء، قال: «**يقول: "بسم الله، اللهم صلى على محمد، وإذا خرج قال: بسم الله، اللهم صلى على محمد**» فإذن التسمية، والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام مشروعتان عند الدخول وعند الخروج.

(المتن)

وعن أبي حُميد أو أبي أسيد رضى الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ :«إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: "اللهم أفتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: "اللهم انى أسالك من فضلك"». حديث صحيح، وقد خرّجه مسلم بنحوه.

(الشرح)

ثم أورد رحمه الله حديث أبي حُميد، وأبي أسيد رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ**» إذا جمعت هذا مع الحديث الذي قبله؛ يجتمع من ذلك مشروعية الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الجمع بينهما عند الدخول، وعند الخروج، فتقول عند دخولك: «**بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وتقول عند خروجك: "بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله"**» قال: «**وليقل: "اللهم أفتح لي أبواب رحمتك**» هذا عند دخوله، «**اللهم أفتح لي أبواب رحمتك**» قال العلماء: "والدعاء بهذه الدعوة عند الدخول مناسب غاية المناسبة، لأن من جاء إلى المسجد ليصلى، وليقرأ القرآن، وليذكر الله، وليتفقه في الدين؛ فإنه يطلب بذلك كله رحمة الله، ولهذا ناسب عند الدخول أن يسأل الله أن يفتح له ابواب رحمته" ويدخل في سؤالك الله جلّ

وعلا أن يفتح لك أبواب رحمته وأنت داخل المسجد، يدخل في ذلك أن يفتح لك أبواب البر التي تُنال بها الرحمة، بأن يشرح صدرك للصلاة بخشوع وطمأنينة، بأن يشرح صدرك للجلوس في حلق العلم والاستفادة مما فيها من الفقه في دين الله، بأن يشرح صدرك لأن تجلس لتقرأ القرآن، وأن تجلس لتذكر الله عزّ وجلّ، كل هذه المعاني تدخل تحت هذه الدعوة ،«**اللهم أفتح لي أبواب رحمتك**» يعني: هيئ لي من الأسباب والأمور التي أنال بها رحمتك، بعض الناس إذا دخل المسجد لأداء الصلاة المكتوبة؛ يدخل متأخرًا، يدخل في الغالب والإمام راكع، إما الركعة الأولى، أو الثانية، أو الثالثة، أو قريب من السلام، ثم يخرج من أوائل الناس، يدخل من أواخرهم، ويخرج من أوائل الناس كأنه مطرود، وكأنه ملحوق، فلا يتحقق له في دخوله للمسجد أمثال هذه الأبواب العظيمة من أبواب نيل رحمه الله.

، وإنما يأتي بصلاة سريعة عجلة، وربما كان أيضًا باله ليس مشغولًا بالصلاة، بخلاف الذى بكّر في صلاته، وأتى إليها مُبكرًا فإنه يطمن في أداءه للصلاة المكتوبة، والطمأنينة تُصاحبه فيما قبل الصلاة وفيما بعد الصلاة.

وهنا يا إخوان لاحظوا ملاحظة يمكن يجدها كل واحد منّا في حياته، إذا جئت إلى لمسجد مبكّرًا، يعنى: مع الأذان أو قبل الأذان، أو بعد الأذان بقليل، وأدّيت السنة وجلست، تلاحظ ملاحظة أنك بعد الصلاة بصعوبة تقوم، حتى لو كان عندك عمل، تحتاج أن تقوم إليه مستعجلًا؛ تجد أنك بصعوب تقوم، لماذا؟ لأن الطمأنينة غشيتك، ونفسك سكنت، فتجد نفسك حتى وإن كان عندك عمل تحتاج إليه، بصعوبة تقوم، بينما إذا جئت والإمام راكع؛ تجد أنك تقوم لتخرج مع التسليمة الثانية، يعنى وأنت تُسلّم التسليمة الثانية انتصفت في القيام خارجًا من المسجد، وهذا الذى قال العلماء: "الحسنة تنادي أختها" وتأخير الصلاة يُعقب سرعه في الخروج منها، أذكر مرة في مسجد؛ صلّى إلى جنبي أحد الأولاد الصغار، يعني عمره اثنى عشر سنة، ولكنه كان معتاد أن يأتي مُتأخرًا في الركوع، في تلك المرة جاء مع الأذان وجلس، وكان وافق أنه جنبي على يميني، فلما سلّم الإمام بقى جالس ما قام من مكانه، وأعرفه من عادته من أوائل من يقوم، ولكنه بقي جالس في مكانه، أستمر جالسًا طويلًا، ثم لما أراد أن يقوم التفت عليه وقولت له: انتظر قليلاً، أريد أن أسألك سؤال، دائمًا إذا صليت تقوم بسرعه، اليوم جلست طويلاً لم تقم بسرعة، أخبرني ما هو السبب؟ فأخذ يفكر، قولت له: أنا أخبرك، السبب أنك جئت مبكراً، وهذه من ثواب التبكير، أعطاك الله عز وجل هذه الطمأنينة لتجلس بعد الصلاة، هذا من ثوابه، ولما يأتي الإنسان متأخراً في الركوع، أي: في الركعة الثانية، أو الثالثة، تجده مجرد ما يسلم؛ يمشى، يُدفع دفعًا، ويخرج من المسجد، ولهذا ما ينبغي للإنسان أن يحرم نفسه من التبكير.

الشاهد هنا قوله: «**أفتح لي أبواب رحمتك**» أنت إذا دخلت إلى المسجد في أبواب ليس بابًا واحدًا، وايضا لاحظها في قوله هنا: «**أبواب رحمتك**» أبواب عديدة إذا دخلت إلى المسجد تحتاج إليها، هل تحظى بنصيب عظيم من هذه الأبواب عندما تكون صفتك في مجيئك للمسجد تأتي سريعًا ومع الناس الذين يتدافعون عند الأبواب جريًا حتى يدرك الركعة ثم يُدركها وهو يلهث من التعب، وما إن يُسلم يخرج، يحرم نفسه، دخول المسجد فيه أبواب كثيرة من

أبواب الرحمة، لكن هذه الأبواب تحتاج إلى أشياء أيضا، ولهذا لاحظ الآداب التي أُشير إلى بعضها في مقدمة الدرس، آداب كثيرة في خروجك المسجد، لا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون، وعليكم بالسكينة، لا تُشبك بين أصابعك؛ كل هذه الأمور تُهيئ لك مجالًا رحبًا لتنال من هذه الأبواب العظيمة، من أبواب الرحمة التي تُنال في دخول المساجد.

إذن إذا دخلت المسجد، وسميت، وصليت وسلمت على رسول الله عليه الصلاة والسلام قل بعد ذلك: «**اللهم أفتح لي أبواب رحمتك**» ثم بعد هذه الدعوة تسبب يا أخي، أنت دعوت فتسبب، يعني: أبذل السبب الذي تنال به رحمة الله، ومن الأسباب أن تجلس في المسجد إن كان مجلس علم، إن كانت تلاوة قرآن، إن كان ذكرًا لله، إن كانت طمأنينةً، أو خشوعًا، أو غير ذلك؛ تسبب؛ لا تحرم نفسك من الخير، فإذن مع الدعاء بقولك «**اللهم أفتح لي أبواب رحمتك**» أتبع الدعاء بذل السبب، وهيئ نفسك لتنال من أبواب الرحمة.

قال: «**اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: "اللهم انى أسالك من فضلك"**» في الدخول: «**أبواب رحمتك**» وفي الخروج قال: «**اللهم انى أسالك من فضلك**» وهذا أيضًا مُناسب لحال الخروج غاية المناسبة، ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة:١٠] إذا أنهيت الصلاة، واطمأنت، وذكرت الله، وأدّيت هذه الطاعة، وخرجت؛ فأنت تخرج لمصالح وحاجات لك، فتسأل الله من فضله أن يعطيك من فضله العظيم، قال: «**وإذا خرج فليقل: "اللهم انى أسالك من فضلك"**» هذا في خروجه من المسجد.

(المتن)

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال : «"أعوذ بالله العظيم وبوجهِ الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم" قال: فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم» أخرجه أبو داود.

(الشرح)

ثم ختم المصنف رحمه الله هذا الفصل؛ بحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺأنه كان إذا دخل المسجد قال: «**"أعوذ بالله العظيم وبوجهِ الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم**» وهذا الحديث يدل على مشروعية التعوّذ بالله من الشيطان الرجيم عند دخول المسجد، يُشرع للمسلم عند دخوله للمسجد أن يتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم، والحكمة في ذلك أن الشيطان يأتي للإنسان في المسجد، ويأتيه في صلاته، ويبدأ يذكّره أشياء، أذكر كذا، أذكر كذا، حتى ينتهي من صلاته وهو لم يعقل شيئًا منها، بل في الشياطين من هم متخصصون في الإغواء في الصلاة، إغواء الإنسان في صلاته، وذكر عليه الصلاة والسلام إن شيطان اسمه "خنزب" هذه مهمته؛ إغواء الإنسان في صلاته، ومشاغلته فيها، ويبدأ يذكّره حاجات وأمور وأشياء حتى تنتهي الصلاة وما عقل شيئا منها، وهذه هي الوسوسة قال: الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ* مَلِكِ النَّاسِ***

﴿إِلَهِ النَّاسِ* مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ* مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[الناس:١٦] قال: ابن عباس رضي الله عنهما الوسواس الخناس: "هو الشيطان، إذا ذُكر الله خنس، وإذا غُفل عن ذكر الله وسوّس" وإذا غُفل عن ذكر الله وسوّس، وإذا ذكر الله خنس، يعنى: ابتعد عن الإنسان، فهو يأتي ويشاغل الإنسان في صلاته بالهواجس والأفكار، وتذكّر أشياء وأمور حتى تنتهى الصلاة وما عقل شيئًا منها، وهذا الأمر يكون للمصلى من عباد الله المسلمين.

أما من فسدت عبادتهم فإنه لا يعتنى بهم، مثل ما جاء عن ابن عباس أنه قيل له "إن اليهود تزعم أن الشياطين لا توسوس لها في صلاتها" يعنى: ما يجدون هواجس وشواغل تأتيهم في الصلاة، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: "وماذا يريد الشيطان ببيت خرب" يعنى: ماله حاجة، بيت خرب ليس له به حاجة، ولكن المصلى الذي صلاته صحيحة هو الذى يهتم الشيطان لأمره حتى يفسدها عليه بتذكيره بالأمور، إذن الذى يدخل المسجد يحتاج حاجة ماسة إلى أن يتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم، حتى يسلم منه، وأنظر إلى كرم الله العظيم، وفضله العميم، وخيره الجزيل، لمن يأتي بهذا الدعاء، أو بهذا التعوّذ الذى ذكره نبينا عليه الصلاة والسلام ماذا قال في فيما يناله من أتى به؟ من عند دخول المسجد: «**أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم**» ماذا قال؟ هل قال عليه الصلاة والسلام أنه يُحفظ من الشيطان حتى يخرج من المسجد؟ انظر الكرم، والفضل العظيم، هل قال عليه الصلاة والسلام يُحفظ من الشيطان حتى تنتهي الصلاة أو حتى يخرج من المسجد؟ أم ماذا قال؟ قال: «**فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم**» سائر اليوم، أي: اليوم كله، فإذا قُولت ذلك حُفظت من الشيطان يومك كله، وهذا من فضل الله عليك، من فضل الله عليك أنك إذا قُولت عند دخولك المسجد: «**"أعوذ بالله العظيم وبوجهِ الكريم، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم**» حُفظت من الشيطان يومك كله، وهذا من فضل الله عليك، فإذاً هذا تعوّذ عظيم مبارك لا ينبغي للمسلم أن يفوّته عند دخوله المسجد في كل مرة يدخل.

قال: «**إذا دخل المسجد قال: "أعوذ بالله العظيم**» أعوذ؛ أي: ألتجأ إلى الله عزّ وجلّ فالاستعاذة، الاحتماء بالله والالتجاء، وطلب الوقاية منه سبحانه وتعالى، «**أعوذ بالله العظيم**» أيضا تتوسل بالله عز وجل بألوهيته وعظمته سبحانه وتعالى، «**والعظيم**» اسم من أسماء الله الحسنى دال علي كمال عظمة الله في أسمائه، وكمال عظمته في صفاته، وكمال عظمته في أفعاله سبحانه وتعالى.

قال: «**وبوجهِ الكريم**» وهذا في صفات الوجه لله عزّ وجلّ، ووصف الوجه بالكرم، فأثبت الوجه ووصفه بالكرم، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بثبوت الوجه، صفة لله تليق بجلاله وبكماله وعظمته سبحانه وتعالى.

قال: «**أعوذ بالله العظيم وبوجهِ الكريم، وبسلطانه القديم**»، "السلطان" هنا مصدر، والمصدر إذا أُضيف إلى الله كما هو الحال هُنا قال: «**سلطانه**» أي: سلطان الله، المصدر إذا أُضيف إلى الله تارة يراد به الصفة، وتارة يراد به أثر الصفة، والذى يحدد ذلك مراعاة السياق وتأمله، وهنا المراد "بالسلطان" الصفة ليس أثرها، وإنما المراد به الصفة،

صفة الله عز وجل "السلطان" وسلطان الله عز وجل أي: أن الأمر بيده وأمره نافذ ، وكل شيء واقع بتدبيره سبحانه وتعالى فالملك ملكه، والحكم حكمه سبحانه وتعالى فسلطانه نافذ في مخلوقاته كلها، له ملكهم، وله تدبيرهم، ورزقهم، والتصرف فيهم، قال: «**وبسلطانه القديم**» والقديم صفة للسلطان، والمراد بالقدم هنا أي: الأولية التي ليس قبلها شيء، لأن القدم نوعان: مُطلق ونسبي، والمراد بالقدم هنا: القدم المطلق الذي هو الأوليّة، والتي ليس قبلها شيء، هو سبحانه وتعالى الأول، ومرّ معنا في أدعية النوم قول النبي عليه الصلاة والسلام: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء**»، فهذا المراد بقدم السلطان الذي هو صفة الله تبارك وتعالى أي: أن سلطانه عزّ وجلّ قديم، أي: أول بلا ابتداء ، كما أن سلطانه تبارك وتعالى آخر بلا انتهاء، فله السلطان، له الملك، وله التدبير، الأمر أمره، والحكم حكمه.

قال: «**وبسلطانه القديم، من الشيطان**» وهذا المتعوّذ بالله منه هو: الشيطان، الرجيم أي: المبعد، والبعيد، المرجوم، الشيطان المراد به: إبليس وأعوانه، والشيطان من شطن بمعني: بَعُد، ولهذا من بَعُد عن طاعة الله عزّ وجلّ وكان من المغوين، من الضالين المضلين يكون شيطانًا، سواء كان إنسيًا، أو جنيًا، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿**شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾ [الأنعام:١١٢].

قال: «**وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم**» قال: «**فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم**» ومعنى سائر، أي: جميع اليوم، حُفظ مني يومه أجمع، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى.

هذا الحديث كما عرفنا في مشروعية التعوّذ بالله من الشيطان عند الدخول، وقد ثبت في السنة عن النبي ﷺ مشروعية التعوّذ من الشيطان أيضا عند الخروج من المسجد، وهذا أمر ربما يخفى على بعض الناس وهو ثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام التعوّذ بالله من الشيطان عند الخروج، ولهذا في بعض الأحاديث جاء بعد الأدعية التي تُقال عند الخروج أن يقول: «**اللهم باعدني من الشيطان**» أو «**اللهم أعذنِ من الشيطان**»، أو «**اللهم أعصمني من الشيطان**» ألفاظ وردت، فُيشرع لك عند خروجك من المسجد أن تقول: "بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم إني أسألك من فضلك، اللهم باعدني من الشيطان، أو اللهم أعذنِ من الشيطان، أو اللهم أعصمني من الشيطان" تقول ذلك وأنت خارج.

عرفنا أن التعوّذ بالله من الشيطان عند دخول المسجد من الحكمة فيه أن تسلم من وساوسه في عبادتك في المسجد، سواء في الصلاة، أو في ذكر، أو في حضور مجالس العلم، فتسلم منه، أحيانًا يأتي الشيطان لطالب العلم في مجلس العلم في المسجد ويقيمه ويّخرجه من العلم، فيحتاج الإنسان للتعوذ بالله من الشيطان لأمور كثيرة، يحتاج إلى أن تتحقق له في المسجد، ولا يريدها الشيطان أن تقع له أو أن تحصل له، هذا فيما يتعلق بالدخول.

أما فيما يتعلق بالخروج؛ فإن أيضا الحاجة ماسة إليه، لأن الإنسان إذا خرج من بيت الله مُصليًا، راكعًا، ساجدًا، تاليًا، ذاكرًا، مُحصلًا أبواب الرحمة، فإن الشيطان يريد أن يمحو أثر هذا الخير، وأن يوقع الإنسان في المساءة، ولهذا

كما أنه جالس للإنسان في طريقه للمسجد وداخل إليه، فإنه أيضا جالس له في طريقه وهو خارج من المسجد ليأخذ به إلى أبواب الشر، وإلى أماكن الفساد، وإلى حيث الضياع، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن الشيطان قاعد لابن آدم بأطرقة**» يعني: في كل طريق، في كل طريق يسلكه الإنسان الشيطان قاعد، إن كان طريق ذهابه للمسجد، وإن كان طريق خروجه من المسجد، «**إن الشيطان قاعد لابن آدم بأطرقة**» يعني: في كل طريق يسلكه العبد، فإذا خرج العبد من المسجد؛ فالشيطان قاعد له ليصرفه، وليمحو أثر ما حصّل من خير في المسجد فناسب عند الخروج؛ التعوّذ بالله من الشيطان الرجيم.

إذن عند دخولنا المسجد مجموع ما دلت عليه هذه الروايات أن تقول: «**بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله اللهم أفتح لي أبواب رحمتك، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وبسلطانه القديم من الشيطان الرجيم**» هذا عند الدخول.

وإذا خرجت: تقول: «**بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، اللهم إني أسألك من فضلك، اللهم أعصمني من الشيطان**».

(المتن)

"فصل في الأذان ومن يسمعه".

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «قال رسول الله ﷺ: "لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا "».

(الشرح)

ثم عقد المصنف رحمه الله هذا الفصل: "فصل في الأذان ومن يسمعه".

الأذان: النداء للصلاة بالألفاظ المعلومة الواردة في سنة النبي ﷺ والآتي ذكرها عند المصنف رحمه الله.

قوله "في الأذان" أي: في مشروعية الأذان، وفي فضله، وما يترتب عليه من الثواب، وقوله: "ومن يسمعه" أي: فيما يُشرع لمن يسمع الأذان ماذا يقول؟ فإذن هذا فصل معقود لبيان الأذان وفضيلته، وبيان ما يُشرع لمن سمع الأذان أن يقوله.

أورد أولًا: حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**» هذا الحديث في فضيلة الأذان، وفضيلة الصف الأول، فالنبي عليه الصلاة والسلام أشار في هذا الحديث إلى أن للصف الأول وللنداء الذي هو الأذان؛ فضيلة عظيمة مخبأة وهي عند الله سبحانه وتعالى مُدّخرة للمؤذنين، ولأهل الصف الأول، فيقول عليه الصلاة والسلام: لو يعلم الناس حجمها وقدرها، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لفعلوا ذلك، والاستهام: أي: أن يقترعوا بينهم بسبب ماذا؟ بسبب الكظيظ والزحام الذي يكون على الصف الأول، وعلى الأذان كله يريده لنفسه، فلو يعلم الناس الفضيلة العظيمة في الصف

الأول، والفضيلة العظيمة في النداء، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا، أي: أن يقرعوا بينهم، حتى يُعرف من الأحق، والاستهام يُحتاج اليه متى؟ عندما يأتي الجميع دفعة واحدة، لكن لو جاء أحدهم متقدمًا؛ ما احتاج للاستهام لأنه هو السابق، لكن هذا يدل على أنهم لو علموا بالفضل لجاءوا كلهم جميعاً، أو جاءوا أكثرهم دفعة واحدة، فأصبح تشاحن وتزاحم على الأمر، فاحتاج إلى القرعة، قال: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**».

(المتن)

وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا نُودِيَ بالصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ، فإِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ، فإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ فيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى» متفق عليه.

(الشرح)

ثم أورد هذا الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه وهو في فضل الأذان أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا نُودِيَ بالصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ**»، أدبر، أي: ولّى، أعطى المكان الذي فيه الأذان دبره، وولى هاربًا، هذا يكون من الشيطان عندما يسمع الأذان، وهذا يدل على أن صوت الأذان يُزعجه، ويصكّ مسامعه، ولا يستطيع أن يبقى في المكان الذي فيه الآذان، وهذا فيه فضيلة التوحيد، لأن الأذان ألفاظه الفاظ توحيد، وتكبير، وتعظيم لله تبارك وتعالى والتوحيد يطرد الشيطان، ولهذا جاء في الحديث: «**أن من قرأ آية الكرسي**» التي هي آية التوحيد «**لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يُصبح**» فالتوحيد يطرد الشيطان ويبعده من المكان تماما، وانظر قوة إبعاد كلمات التوحيد التي في الأذان للشيطان قال: عليه الصلاة والسلام: «**إِذَا نُودِيَ بالصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ**» أي ولّى هاربًا، «**لَهُ ضُرَاطٌ**» أي يخرج من دبر هذا الصوت، وهذا من شدّة الأذى والهلع الذي يحصل له عندما يسمع ألفاظ الأذان مدوّية، وهذا النداء المبارك؛ مجلجّلًا؛ فإنه يولّى هاربًا، ولا يستطيع أن يبقى، ويخرج منه هذا الصوت، قال: «**حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ**» يعني: فراره، وهروبه، وابتعاده، وادباره عن المكان من أجل أن لا يسمع التأذين، ثم إنه يبقى بعيدًا إلى أن ينتهي الأذان، ثم يرجع، وهذا فيه فائدة؛ أن الشيطان لا يكل ولا يمل في أداء مهمته، مع أن الأذان يؤذيه هذا الأذى، ويُضايقه هذه المضايقة، ومن بعده أيضًا سيأتي الإقامة، وستزعجه، ومع ذلك صابر صبرًا شديدًا، ومتحملًا التعب والشدة التي تحصل له، كل ذلك في سبيل الصد عن دين الله تبارك وتعالى، فانظر هذا الجلد من عدو الله، وانظر أيضا في مقابل ذلك؛ الخور، والضعف من أهل الحق ودعاته، جلد الفاجر وصبر على دعوته للفجور.

قال: «**فَإِذَا قُضِيَ التَّأْذِينُ أَقْبَلَ**» يعنى: إذا أنت مجرد ما يفرغ من الأذان، من هذا الصوت الذي يؤذيه ويضايقه؛ يرجع، قال: «**أَقْبَلَ**» يعنى: رجع إلى المكان، «**فإِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاَةِ**» أي: أقيمت الصلاة، هذا المراد "بثوّب"، وفيما

أقيمت الصلاة أدبر، قال: «**فإذا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، أدبر**» وهنا لم يذكر «**ولَهُ ضُرَاطٌ**» وإنما ذكر «**ولَهُ ضُرَاطٌ**» في الأذان، وهذا يدل على أن الأذان الذي يبتدأ أولًا، ويأتي أولًا، ويفزع أولًا في المكان؛ يحصل معه هذه الحالة، ثم في الحالة الثانية يكون إدبار، ولا يكون معه هذا الزراط، ولهذا لم يُذكر، قال: «**فإِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ، أدبر**» أي: ولّى، وأعطى المكان دبره فارًّا.

«**فإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ**» يعني: انتهى المؤذن من الإقامة، ومن ألفاظ الإقامة أقبل، رجع، هنا أيضا لفته لماذا هذا الرجوع بين الأذان والإقامة؟ يعني: لما هذا لا ينتظر حتى يبقى بعيدًا حتى يفرغ من الإقامة لماذا؟ الجواب حاضر، لأنه حتى الفترة التي بين الأذان والإقامة التي يتهيآ فيها المسلم للصلاة، ويُعدّ نفسه فيها لصلاة مطمئنة؛ لا يريد أن تبقى له، بل يريد أن يخطر له فيها في الخواطر والوساوس التي تضيّع له تهيئه واستعداده للصلاة، ولهذا في هذه الفترة التي هي بين الأذان والإقامة؛ هذه الفترة الفاضلة؛ يرجع، مع أنه بين أمرين، يعني: مزعجين له جداً، يرجع ويبقى ويتحمل، ثم إذا أقيمت الصلاة أدبر ورجع عندما يفرغ المؤذن من الإقامة قال: «**فإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ**» قال: «**حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ**» يعني: في صلاته، يأتي له بالخواطر والوساوس فيشغله عن صلاته، يقول: «**اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا**» **حتى أن كثير من الناس يقول في أشياء مفقودة له يتعب في البحث عنها، ثم في صلاته** يذكرها، وربما أنه يُفكر أن يترك الصلاة حتى يظفر، أو يستعجل في الصلاة، يُعجلها، يقضيها سريعةً حتى يذهب ويتأكد هل هذا الذى هو في حاجة شديدة إليه، وفي بحث طويل عنه، هل هو فعلًا في هذا المكان الذي ذكره في صلاته أو لا؟ فيأتيه في صلاته، ويخطر بين المرء ونفسه، يقول: «**اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا**» لاحظ «**اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا**» يذكره بأشياء كثيرة من أموره واهتماماته، الأشياء التي هو تُهمّه ويحتاج إليها، يُذكّره لها في صلاته، حتى يخرج من صلاته وما عقل شيئًا منها.

قال: «**فيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ**» يعني: الأشياء التي فقدها، أو الأشياء التي نسيها، أشياء هو بحاجة إليها لما لم يكن يذكر، أما الأشياء التي تذكرها وتعرف أماكنها، لما يُذكّرك بها، لأنها ما تأخذ منك اهتماما، لكن أشياء لا تذكرها؛ وفي ذكرك لها انشغال قلبٌ هي التي يُذكّرك بها، يُذكّرك بما لم تكن تذكر، أما الأشياء التي منك على بال وتذكرها؛ لا يعتني بها، ولا يحفل بها، هذا هو السبب، لأنه إذا ذكّرك بما لم تكن تذكر، ما الذي يحدث؟ الذي يحدث أنك ذهنك ينشغل من أول الصلاة إلى آخرها.

قال: «**حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى**» «**حَتَّى يَظَلَّ**» أي: يصير، ظل وجهه مسودًا؛ أي: صار وجهه، فيظل؛ أي: يصير «**الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى**» بسبب هذه الأشياء التي ذكّرهُ إياها الشيطان، ثم ينتهي من الصلاة ولا يدرى كم صلى، ولا يدري ماذا قرأ، ولهذا جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام: «**أن الرجل يُصلي وليس له من صلاته إلا نصفها، إلا ربعها، إلا ثُلثها، إلا عُشرها**» يعني: ليس له إلا ما عقل منها، والشيطان يريد من الإنسان ألا يعقل من صلاته شيئًا، وإن لم يستطع ذلك ضيّع عليه جزءًا كبيرًا من صلاته.

(المتن)

وقال أبو سعيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يسمع مدى صوت المؤذن جن، ولا إنس، ولا شيء؛ إلا شهد له يوم القيامة» أخرجه البخاري.

(الشرح)

ثم أورد حديث أبي سعيد وهو أيضا في فضيلة الأذان، وفي عظيم ثواب المؤذنين عند الله سبحانه وتعالى قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يسمع مدى صوت المؤذن جن، ولا إنس، ولا شيء؛ إلا شهد له يوم القيامة**» أي: شهد له بذلك، كل من يسمع صوت المؤذن؛ يشهد له، يعني: يُنطقه الله تبارك وتعالى يوم القيامة بالشهادة له، حتى الجبال تشهد له، حتى الأشجار تشهد له، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ولا شيء**» فالشجر، والحجر، والجبال؛ كل ما يسمع صوت المؤذن يشهد له، والجن، والإنس، كل هؤلاء يشهدون له يوم القيامة بهذا النداء الطيب والصوت المِدويّ الذى ينادى للصلاة تهليلاً وتكبيراً وتعظيمًا لله تبارك وتعالى.

وقوله: «**مدى صوته**» أي: ما يبلغه صوته، مدى الصوت؛ أي: نهاية الصوت، وقدر ما يبلغه صوت المؤذن.

(المتن)

وقال أبو سعيد رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن». متفق عليه.

(الشرح)

وقال أبو سعيد رضي الله عنه: قال رسول اللهﷺ: «**إذا سمعتم النداء**» أي: الصلاة، «**فقولوا مثلما يقول المؤذن**»، وهذا يتعلق بالشقّ الثاني من الفصل، الذي عقده المصنف، لأن المصنف قال: فصل: في الأذان ومن يسمعه. فالأحاديث التي مضت في الأذان، وهذا الحديث وما بعده فيمن يسمع الأذان، ماذا عليه أن يفعل؟

قال أبو سعيد: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن**» هذا الذي يُشرع في حق من سمع النداء، أيًا كان عملك وقت النداء؛ كل شيء تتركه، وكل قول تدعه، وتنشغل بالإجابة، إذا كنت تُلقي علمًا، اذا كنت تقرأ قُرءانًا، إذا كنت تُسبح وتذكر الله، كل هذه الأعمال توقف عنها، أفضل عمل تقوم به وقت سماع الأذان؛ أن تقول مثلما يقول المؤذن، أفضل من تلاوتك القرآن، وأفضل من قولك "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر" التي أحبّ الكلام إلى الله، وأفضل من سائل العلم، وبيان الدين، أفضل من ذلك كله، «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن**» وهذا مبني على قاعدة ذكرها العلماء وهي أن الأفضل في كل وقت؛ الأوفق للسنة في ذلك الوقت، فإذا نادى المنادي للصلاة؛ فأفضل شيء تفعله أن تستمع وتقول مثلما يقول، وهذا فيه فائدة عظيمة جدًّا، وثواب عظيم، وسيأتي معنا في الحديث القادم أن من يفعل ذلك دخل الجنة، إذا سمعت المؤذن وأخذت تردد معه، قال: الله أكبر الله أكبر، قلت: الله أكبر الله أكبر إلى أخر الأذان تُردّد معه؛ دخلت الجنة، كما أخبر بذلك نبينا عليه الصلاة والسلام ففيه ثواب عظيم، وفيه أيضا ثمار مباركة عليك أنت، وهذا يجد الإنسان

من نفسه عندما يستمع جيدًا للمؤذن ويردد معه، وعندما يشتغل بأموره غير مبالٍ بالمؤذن، وغير مردد معه، فرق بين الحالتين، ومن ينظر إلى حال نفسه في تلك الحال وفي الحالة الثانية، يجد فرق شاسعًا، إذا سمعت المؤذن وتوقفت عن أعمالك وأخذت تُصغي له جيدًا وتُردد معه بطمأنينة؛ تجد أن هذا أكسب قلبك سكونة وطمأنينة، وحبًا للمسجد، تحركًا له، تذكيرًا، وإلى غير ذلك من الخيرات الكثيرة التي تنشأ عن هذا الاستماع والترديد، ولهذا غالب من يأتون إلى المساجد والإمام راكع، أو في نهاية الصلاة ما أرعوا الأذان اهتمامًا، ما أعطوا الأذان اهتمامًا، وغالب من يأتون مُبكرين؛ الأذان له شأن عندهم، وسماع الأذان له شأن عندهم، ولهذا سماع الأذان والترديد مع المؤذن ما ينبغي للمسلم أن يفرّط فيه، للخيرات العظيمة الكثيرة الجليلة التي يُحصلها ويكتسبها عندما يردد مع الأذان يستمع جيدًا ويردد معه.

قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا سمعتم النداء فقولوا مثلما يقول المؤذن**» يُستثنى من ذلك كما في الحديث القادم؛ إذا قال: "حي على الصلاة، حي على الفلاح" لا تقول مثلما قال، وإنما تقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله" فهذا مُستثنى، وبقية ألفاظ الأذان تأتي بها كما تسمعها من المؤذن.

(المتن)

وأخرج مسلم ع عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلّى عليّ صلاة؛ صلّى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشفاعة».

(الشرح)

الكلام على هذا الحديث نُرجعه إلى درس الغد بإذن الله تبارك وتعالى والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.